

فصلية اللسان المبين (بحوث في الأدب العربي)
(علمية محكمة)

السنة التاسع، المسلسل الجديد، العدد واحد والثلاثون، ربيع ١٣٩٧، ص ١٠٨-٨٩

موتيف القدس ودلالاته في شعر الجواهري*

صادق فتحي دهكردي، أستاذ مشارك بجامعة طهران، فريديس فارابي
ناصر قاسمي، أستاذ مساعد بجامعة طهران، فريديس فارابي
يدالله ملايري، أستاذ مساعد بجامعة طهران، فريديس فارابي
عبد الرسول إلهايي، الدكتوراه بجامعة طهران، فريديس فارابي

الملخص

إن مدينة القدس الشريف تتمتع بمكانة خاصة في شعر الجواهري وقد تكررت هذه المفردة ذاتها وأسمائها الأخرى مثل «أورشليم» و«بيت المقدس» و«مهبط الرسل» عدة مرات في ديوانه مما يعني أنها أصبحت موتيفاً وإن اختلفت الأحداث والقضايا التي تطرق شاعرنا من خلالها إلى القدس الشريف. والموتيف هو لفظة أو جملة أو فكرة أو موضوع متكرر في النتاج الأدبي من أجل تطوير فكرة النص، وهذا التكرار يمنحه قيمة ومعنى ودلالة. ويعد من الظواهر التي تستخدم لفهم النتاج الأدبي من خلال ما يتركه هذا التكرار من أثر انفعالي في نفس المتلقي وما يحمل في ثناياه من دلالات نفسية وانفعالية. وتحولت الأمكنة الواقعية بأبعادها التاريخية والدينية إلى علامات مرجعية في فلسطينيات الجواهري وأصبحت محطات وعلامات تحمل دلالات رمزية ترتبط بالوجود الفلسطيني في هذه البقعة الإسلامية فباتت القدس رمزاً للمسلوب والمنكوب، وأصبحت للإنسان العربي والإسلامي مرشدة توجهه إلى الطريق الصواب وتحرضه على الأخذ بالثأر لفلسطين ودحر المحتل. ومن النتائج التي توصل إليها البحث هي أن الجواهري تناول صوراً عديدة للقدس الشريف لتسليط الضوء على معاناة الفلسطينيين من جراء الاحتلال الصهيوني وذلك لثوير الشعوب العربية والإسلامية، وتحريضهم على مقارعة العدو الصهيوني، مستخدماً مختلف الصور البيانية الموحية بما فيها التشبيه والاستعارة والمجاز، ورموزاً ذات دلالات إسلامية وعربية وشتى أساليب الإنشاء والتعبير مثل الاستفهام الإنكاري والتكرار. كما أنه رسم عبر تكراره موتيف القدس لوحات فنية وجعل المتتبع لشعره يعيش الأحداث التاريخية التي مرت بالمدينة. وتهدف هذه الدراسة التي اعتمدت الأسلوب الوصفي التحليلي، إلى رصد ودراسة استدعاء مدينة القدس ودلالاتها في تجربة الجواهري والمضامين التي جاء بها في شعره بما فيها تمجيد النضال والمقاومة، وتبيين أسباب الهزائم العربية.

الكلمات الدلالية: القدس، الموتيف، الجواهري، الرمز، المكان.

شكّل المكان باعتباره موتيفاً بؤرة فنية وبعثاً ملهماً للأدباء، فهو مسرح حدوث الأفعال وفق العلاقة الجدلية بين الإنسان ومكانه، ويحتل مساحة كبيرة في حياة البشر، إذ يبدأ في رحم أمه وينتهي في قبره. ولا يمكن تصوّر وجودنا بلا مكان. وهو كان ولا يزال ملهماً وبعثاً لكافة الدلالات وأبعاد الأفكار التي يسعى الشاعر إلى ترسيخها لدى المتلقي. والتركيز على المكان باعتباره ظاهرة أسلوبية في بناء القصيدة يعد من جوهر الشعر؛ فالظاهرة المكانية تتصل اتصالاً وثيقاً بالصورة الشعرية، والمكان بجمالياته ودلالاته هو المسرح الحقيقي الذي تصاغ في مصهرته الصورة الشعرية، وهو الموضع الذي يحوي في زواياه وتضاعيفه تشكيلات مكانية وفكرية (النصير، ١٩٨٦م: ٣١٥).

والمكان الذي يسترعي انتباه الشاعر ويجذب نحوه خياله، لا يبقى مجرد مكان ذي أبعاد هندسية فحسب، فهو مكان قد عاش فيه بشر ليس بشكل موضوعي فقط، بل بكل ما في الخيال من تحيّر، وينجذب نحوه لأنه يكشف الوجود في حدود تتسم بالحماية (باشلار، ٢٠٠٠ م: ٣١). ويستمد الشاعر صورته الشعرية ممّا يمكن تمثله قائماً في المكان، ويجعل للمكان نسقاً خاصاً به، ومن خلال تصويره للمكان الذي أحبه وأقام فيه يعكس نفسه ويكشف عن دواخلها واتجاهاتها وانتماءاتها، فلا غنى للقصيدة عن المكان؛ فهي من دونه تفقد خصوصيتها بل بنيتها (مصطفى، ٢٠١٢ م: ب - أ).

إنّ فنية المكان القدسي تتضافر فيها القدسية مع الألفة النفسية التي تزيدها كثيفاً دلاليّاً وإيحائياً، إلا أن هناك ظروفاً تشكل منعطفاً كبيراً في خلق المكان مثل الظروف الاجتماعية والتاريخية والنفسية والسياسية؛ لكن الأخيرة لها دور كبير في نشأة الانزياح الفني عن الأمكنة إذ يصبح للمكان خلقاً أخرى في النص، وهذا ما يحيلنا لسياقات فنية أخرى تكثفها علاقة الإنسان بالمكان. وهذا الانزياح الفني لم تكن نجده لولا تجذّر مشاعر الانسان في هذا المكان. وتعمل الأمكنة على امتصاص النشاط البشري الإبداعي وهي تتسم بالروحانية السامية إلى معارج الإدراك الحسي الشعري؛ على أنه يجب الإشارة هنا إلى أن هذا الانزياح الشعري لم يكن يتكون لولا ارتباطه بهالة من التشكل الثقافي والعقائدي لجماعة معينة. وهكذا يرصد الأديب والشاعر الأحداث اليومية ليصوغها في مرآة فنية بلورية مجازية، حتى يتحول الفضاء المكاني إلى بيئة جمالية تخترق الجسد الأدبي وتعطيه شهادة من المقاربات التأويلية والاسقاطات الفنية. وهذا التماهي في المكان قد يقودنا إلى ما يسمّى بـ «رمزية المكان» ليدخل المكان حيز الإبداع متجاوزاً حسنيته وواقعيته (أبو العمرين، ٢٠١٤ م: ٣٠ - ٢٩).

ولدى احتلال الأراضي الفلسطينية على يد العصابة الصهيونية المدعومة غربياً، اعتنى الكثير من الشعراء المعاصرين بمن فيهم محمد مهدي الجواهري بعنصر المكان في أولى القبليتين وعلى رأس هذه الأمكنة مدينة القدس الشريف ومعالها إدراكاً منهم أن جوهر صراع القضية الفلسطينية هو صراع على الأرض وأن المكان المتجلي في أرض فلسطين هو لبّ الصراع مع العدو. وارتبط شعره الفلسطيني بمدينة القدس ارتباطاً وثيقاً وعبر عنها بأسماء مختلفة، إذ باتت هذه البقعة المباركة هاجساً في مخيلته الشعرية.

ومدينة القدس التي احتلت عبر التاريخ والأزمة مكانة عظيمة ومقدسة لما تحتوي على مقدسات وآثار لحضارات قديمة وعريقة، تحمل دلالات وخصوصيات تشكل ظاهرة شعرية من حيث تنوعها وارتباطها بالثقافة الإسلامية، وفي تفرّدها بالخصوصية التي تتمخض من مشاعر الشاعر المحمّلة بالخوف من ضياع الأرض وفقد المكان. فقد أدت أفكار ورؤى الشاعر تجاه القضية الفلسطينية إلى ردة فعل على المستوى الشعري ترمي إلى استعادة الجنة المسلوقة. وانعكست أولى

القبلتين في شعر الجواهري باعتبارها جزءاً من الهوية العربية والإسلامية وانتماء للأرض التي تحول سلبها ونهبها إلى حقيقة تمضي على قدم وساق.

سؤال البحث

١. كيف كانت نظرة الشاعر تجاه القضية الفلسطينية من خلال توظيفه مدينة القدس الشريف موتيفاً في شعره؟

فرضية البحث

١. استخدم الجواهري موتيف القدس لإبراز الأبعاد الدينية والتاريخية والاجتماعية والسياسية للقضية الفلسطينية ولنقل رؤاه ومشاعره فيما يتعلق بهذه القضية إلى المتلقي.

خلفية البحث

هناك دراسات مختلفة عن شخصية الجواهري وأسلوبه والظواهر المختلفة في شعره لما له من أهمية وشأن في الأدب العربي؛ وعلى سبيل المثال لا الحصر يمكننا الإشارة إلى: مقال «الجواهري: حياته، مخزونه الثقافي وميزاته الشعرية» للدكتور «يحيى معروف» والذي طبع عام ٢٠٠٦ في مجلة «دراسات في العلوم الإنسانية» ومقال «التناقض في شعر محمدمهدي الجواهري» للدكتور «فيروز حريجي» و«مهدي ممتحن» والذي طبع عام ١٣٩١ هـ.ش في فصلية «دراسات الادب المعاصر»، و«الشعراء العرب المعاصرون في إيران محمد مهدي الجواهري نموذجاً» الذي طبع عام ١٣٩٠ هـ.ش في فصلية «إضاءات نقدية» وهناك دراسات أخرى سلّطت الأضواء على جوانب مختلفة من شخصيته وأعماله الأدبية لكنها لا تفي بالغرض المنشود لأنها لم تتطرق إلى موضوع الموتيف عموماً وموتيف القدس على وجه الخصوص في شعر الجواهري. ولم نجد دراسة مستقلة تتطرق إلى موتيف القدس في شعر الجواهري لدى بحثنا في المجالات المحكمة داخل الجمهورية الإسلامية الإيرانية وخارجها وأيضاً في موقعي «Magiran و noormags» اللذين يعينان بالأبحاث العلمية الجامعية في إيران. فلم نعث على بحث يتطرق إلى موضوع هذا المقال بشكل مباشر أو غير مباشر سوى بحثين جامعيين لـ«علي أكبر مراديان» تحت عنوان «الإلتزام في شعر محمد مهدي الجواهري» لنيل درجة الدكتوراه بجامعة «إصفهان» وآخر لـ«محمد رضا أمين ياور» تحت عنوان «الكفاح و المقاومة في أدب الجواهري» لنيل درجة الماجستير بجامعة «تربيت معلم سبزوار» وهناك بحث آخر منشور في مجلة دراسات الأب المعاصر بجامعة حرة بجيرفت تحت عنوان فلسطين في شعر الجواهري بيد أن كل هذه البحوث يتطرق بشكل مختصر جداً إلى بعض قصائد الجواهري الفلسطينية لكن دون الإشارة إلى تقنية الموتيف وتكرار القدس فيها. أما في الدول العربية هناك كتاب تحت عنوان «فلسطين في شعر الجواهري وقرارات في الأدب الحديث» للباحث «محمد حور» يتكون من خمس دراسات في الأدب العربي الحديث، خصّص إحداها بفلسطينيات الجواهري وتطرق إلى بعض أبياتها بالشرح والتحليل ولم يتطرق إلى القضايا الفنية والأدبية بما فيها موتيف القدس في دراسته هذه. كما أننا وجدنا دراسات كثيرة أخرى مثل مقال «فلسطين في شعر الجواهري (١٩٢٠ - ١٩٧٠)» للباحثة «مليحة عزيز» طبع عام ٢٠٠٩م في «مجلة مركز دراسات الكوفة» تطرقت الباحثة فيه إلى قصائده التي أشدها خلال ٥٠ عاماً وشرحت بعض أبياتها وتوقفت أمام محسناتها البديعية دون التطرق إلى مدينة القدس

والاهتمام بتكرارها في شعر الجواهري. وهناك أبحاث أخرى كتبت في شعر آخر الكلاسيكيين العرب ولها قيمتها الأدبية لكن لا توجد علاقة بينها وبين موضوع بحثنا هذا ولعل ما يميّز هذا المقال عن الأبحاث التي ذكرناها والتي لم نذكرها- بسبب بُعد المواضيع التي كتبت فيها عن موتيف القدس في شعره- هو أن هذا البحث تناول الموتيف عموماً وموتيف القدس على وجه الخصوص في شعر الجواهري وتوقف أمام جماليات الصور البيانية والفنية في الأبيات التي تطرق شاعرنا من خلالها إلى القدس الشريف.

٢. الجواهري؛ نبذة عن حياته الشخصية والأدبية

ولد الجواهري سنة ١٨٩٩ للميلاد والفترة التي ولد فيها ذات دلالة كبيرة؛ فقد رأت عيناه النور والدولة العثمانية تعيش أيامها الأخيرة وقد شاهد زوالها في صباه (جبران، ٢٠٠٣: ١١-١٠). ويقول شاعرنا عن مكان ولادته "كان البيت الذي ولدت ونشأت فيه بقرب الصحن العلوي" (الجواهري، ١٩٨٨م، ج١: ٣٥). وقد تحدث شاعرنا عن أسرة عريقة في العلم والأدب والشعر تُعرف بـ«آل الجواهر»، نسبة إلى باني مجدها الشيخ «محمد حسن» صاحب كتاب «جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام» الذي كان «المرجع الديني الأعلى للأقطار التي يقطنها الإمامية في كل أطراف المعمورة» (الدجيلي، ١٩٧٢م: ٢٢). كان الشاعر يملك "ذاكرة عجيبة تحوي (ألوف اللقطات واللوحات)، وهو غالباً ما يستحضرها عندما يكون منسجماً مع نفسه والآخريين (البقيلي، ١٩٧٤م: ٣٣). وتوفي في السابع والعشرين من تموز ١٩٩٧ عن عمر ناهز الثمانية والتسعين بالعاصمة السورية دمشق بعد عشرين عاماً من الإقامة فيها وقد شيعت دمشق جثمانه بانطلاق مسيرة ضخمة، تقدمها نائب الرئيس السوري ممثلاً عن الرئيس «حافظ الأسد» ورئيس مجلس الوزراء «عبد القادر قدورة» وعائلة الفقيد وشخصيات سياسية وثقافية وجمهرة غفيرة من العراقيين المنفيين (حريجي، ١٣٩١، ص ١١٥).

للجواهري نتاج شعري ضخم تغطي عليه سمة الخلط الزمني في ترتيب قصائده، إذ لم تكن الدواوين التي أصدرها على نظام؛ إذ نشر أول مجموعة شعرية له باسم «حلبة الأدب»، وفي عام ١٩٢٤ أعد للنشر مجموعة من شعره باسم «خواطر الشعر في الحب والوطن والربيع»، ثم أضاف إليها ما استجد له من شعر وبدأ طبعها سنة ١٩٢٧ باسم «ديوان محمد مهدي الجواهري» وعندما أنجز الطبع سنة ١٩٢٨ صدر بغلاف عليه اسم «ديوان بين الشعور والعاطفة». ولدى إقامته سبعة سنوات في «براغ» أصدر عام ١٩٦٨ ديواناً جديداً سماه «بريد الغربة» وبعد عودته إلى الوطن أصدر عام ١٩٦٩ ديوان «بريد العودة»، إلى أن أصدرت له وزارة الإعلام العراقية عام ١٩٧٠ ديوان «أيها الأرق». وبالتالي أصدر ديوان «خلجات» عام ١٩٧١. ومن مؤلفاته تمكن الإشارة إلى «مختارات الجمهرة»، و«من كل ديوان أجمل ما فيه»، و«عمر بن أبي ربيعة»، و«الأخطل» و«ذكرياتي» (في جزأين)، و«جناية الروس والإنجليز في إيران» (ترجمة عن الفارسية)، «بين العاطفة والشعور»، و«الجواهري في العيون من أشعاره» (الجواهري، ١٩٧٢م، ج١، صص ٢١-١١).

وأخذ الجواهري الاهتمام بالقضايا الوطنية والقومية من واجباته الشعرية لينير الدرب المحاهدين والمناضلين. ولعل تجذّر السياسة في أشعاره يعود إلى صلته المباشرة بالكثير من أحداث عصره، إذ عاش أجواء ثورة العشرين ضد المحتل البريطاني في العراق ودخوله مرحلة الانتداب حتى الاستقلال، وتقرّب إلى مركز القرار السياسي إبان اشتغاله في البلاط الفيصلي، وأيضاً ارتباطه بالماركسيين. و«السياسة في مذهبه لا تعني سوى الخوض في غمار الأحداث؛ الأحداث التي ترتبط بمصير الجميع، فهي ليست من باب التملق السياسي وارتداء زي السياسيين بغية مطالب ومكاسب، بل السياسة

عنده المقاومة، وعدم الركون والغربة والإبعاد... فهو سجل حافل بالتاريخ السياسي للعراق والأمة العربية" (معروف، ١٣٨٨هـ.ش: ٢٦٠-٢٥٩).

٣. الموتيف لغة واصطلاحاً

تعود جذور مفردة الموتيف إلى اللغة الفرنسية وتعني لغوياً الحركة، والإثارة، والإلحاح، والدفع. وقد استعملت في شتى مجالات الفنون والعلوم منها فنون الرسم، والنحت، والموسيقى، والحياكة، والتصوير والهندسة المعمارية. كما أنها احتلت حيزاً واسعاً من الدراسات الأدبية في أوروبا باعتبارها عنصراً فعالاً في النقد والتحليل. وأينما استعمل الموتيف فهو يعني تكرار عنصر ما في النتاج الفني أو الأدبي. وتُعرف كلمة «موتيف» بشكل عام بأنها الجزء المتكرر والمستمر الحامل لمعنى أو قيمة ثقافية، والذي يدخل في تكوين الشكل (البنية.. الخ) أو المحتوى لمختلف أنواع الإنتاج الثقافي" (الشامي، ٢٠٠٧م: ٢٩). والموتيف في شعر الشاعر يحمل دلالات وإيحاءات رمزية وثيقة الصلة بنفسية الأديب وتوجهاته الفكرية والاجتماعية والثقافية.

ولا يخفى أن «التكرار» هو سمة الموتيف الغالبة التي تمكّنا من فهم العمل الفني أو النتاج الأدبي والوقوف أمام أفكار ورؤى الأديب وتحليلها ونقدها تمهيداً لمعرفة أسلوب صاحبها. وتعد هذه الظاهرة من أبرز الظواهر الأسلوبية التي شاعت في كلام العرب منذ الجاهلية حتى وقتنا الراهن. والتكرار في اللغة من «الكر» بمعنى الرجوع ويأتي بمعنى الإعادة والعطف والكر. والمقصود منه في الاصطلاح هو تكرار الكلمة أو اللفظ أكثر من مرة في سياق واحد لنكتة ما، وذلك إما للتوكيد، أو لزيادة التشبيه أو للتحويل، أو للتعظيم. والموتيف لايقوم على مجرد تكرار اللفظة في السياق الشعري، وإنما ما يتركه اللفظ المكرر من أثر انفعالي في نفس المتلقي وما يحمل في ثناياه من دلالات نفسية وانفعالية.

وتكرار بعض المفردات في القصيدة فحسب ليس جمالاً وإنما هو كسائر الأساليب الإنشائية يجب أن يأتي به الأديب في محله لغرض بلاغي وأن يضفي عليه الأديب مسحة شعرية تبعث الحياة في الكلمات والعمل الفني، فهو عبارة عن لفظة أو جملة أو فكرة أو موضوع متكرر في النتاج الأدبي بغية تطوير الفكرة في النص والمحتوى وقد يمنحه التكرار قيمة ومعنى ودلالة. و " التكرار في ذاته ليس جمالاً يضاف إلى القصيدة، بحيث يُحسن الشاعر صنفاً بمجرد استعماله، وإنما هو كسائر الأساليب، في كونه يحتاج إلى أن يجيء في مكانه من القصيدة، وأن تلمسه يد الشاعر تلك اللمسة السحرية التي تبعث الحياة في الكلمات لا بل إن في وسعنا أن نذهب أبعد فنشير إلى الطبيعة الخادعة التي يمتلكها هذا الأسلوب، فهو بسهولة، وقدرته على ملء البيت، وإحداث موسيقى ظاهرية فيه يستطيع أن يضلل الشاعر، ويوقعه في مزلق تعبير، ولعل كثيراً من متبوعي الحركات التجديدية في الشعر المعاصر، يلاحظون أن أسلوب التكرار، قد بات يستعمل في السنوات الأخيرة عكازة، تارة لملء ثغرات الوزن، وتارة لبدء فقرة جديدة، وتارة لاختتام قصيدة متجددة تأبى الوقوف، وسوى ذلك من الأغراض التي لم يوجد لها في الأصل" (الملائكة، ١٩٨٩: ٢٦٣). كما أشارت نازك الملائكة إلى أنواع التكرار وحصرتها في تكرار الكلمة والعبارة والمقطع والحرف وترى أن أبسط أنواع التكرار تكرار كلمة واحدة في أول كل بيت من مجموعة أبيات متتالية في قصيدة، وهو لون شائع في شعرنا المعاصر، يلجأ إليه صغار الشعراء ولا يعطيه الأصاله والجمال إلا شاعر موهوب حاذق يدرك المعول لا على التكرار نفسه وإنما ما بعد الكلمة المكررة (المصدر نفسه: ٢٦٨). وتتجلى قيمة التكرار في الشعر، في قدرة الأديب على تصوير التجربة الانفعالية لديه، وتجسيد معاناته، والكشف عن جوانب فنية خفية

في الإنتاج الأدبي كما أنه يضيف مزيداً من التلاحم والترابط على النص علاوة على الجانب الإيقاعي الموسيقي الذي يكتسبه النص من جراء التكرار اللفظي.

والحالة النفسية وتوجهات الأديب الفكرية والاجتماعية والثقافية تعتبران من أهم بواعث تكرار الألفاظ والأفكار لديه، وبما أنّ "الموتيف في الأدب يعني الفكرة الرئيسة أو الموضوع الذي يتكرّر في العمل الأدبي، أو المفردة المتكرّرة، أو الحافظ والباعث" (المتوكل، ٢٠٠٤م: ٢٠٨)، فإنّه يرتبط ارتباطاً وثيقاً بنفسية الشاعر وبناء حياته، إذ يقوم على جملة من الاختيارات لفكرة أو لفظة دون أخرى، مما يكشف في النهاية عن سر ميل الشاعر لهذا النمط البلاغي دون غيره، لأن التكرار في الموتيف استخدام نسقي ينتمي إلى تقاليد راسخة وبعيدة الغور في أعماق الشاعر والأديب وخلقجاناته الفكرية والثقافية. وفي الأدب الحديث، يمكن البحث عن الموتيف لمعرفة جذوره، ودلالاته، وتجلياته المختلفة في تطورات تصب في وقتنا الراهن.

مما لا شك فيه أنّ الموتيف يعتبر موضوعاً جديداً في الأدب عامة وفي الأدب العربي على وجه الخصوص، ولا تعود الدراسة حوله إلى زمن بعيد بل "إنّ أول دراسات معتمّقة وخصبة حول الموتيف في الأعمال الأدبية ظهرت في الأوساط الثقافية الغربية، وأول دراسة في هذا الصدد، هي الدراسة التي أعدها «أستيت تامسون» أواخر الستينات من القرن العشرين، تحت عنوان «معجم موضوعات الأدب العالمي». والدراسة الثانية هي دراسة «اليزابت فريزيل» الألمانية، التي أثرت المكتبة العالمية بكتابين هما: «مضامين الأدب العالمي» و «موتيف الأدب العالمي»، وقد اهتمت بهما الكثير من الباحثين" (بدرانة، ٢٠١٥م: ٢٥١). وأمّا في الأدب العربي فبعد كد عثرنا على كتاب لـ «سليمان العطار» تحت عنوان «الموتيف في الأدب الشعبي والفردى» تطرق فيه إلى مفهوم الموتيف وأبعاده. "ويقترح مؤلف الكتاب كلمة «الحريك» لمقابلتها في العربية؛ لأنّ الحريك كلمة ترمز إلى إمكانية التشكّل والحركة، وهو ما يحدث للموتيفة إذا انصرفت عن تجردها باتمّانها إلى عمق تشكّل فيه وتحرك. ويؤكد العطار أنه تتكرر كلمة الموتيفة في الاستعمال الأدبي بشكل غير عادي، إذ أثبتت الدراسات المتقدمة في الأساطير والحكايات عند الشعوب المختلفة، أن التشابهات بين هذه المنتجات الأدبية الشعبية، لا تقف عند حد الملامح المحدودة المشتركة، وإنما تتجاوز ذلك إلى تشابه في المواقف والشخصيات والأطر العامة" (المصدر نفسه).

وقد دخلت لفظة الموتيف بمعنى الحركة، والإثارة، والإلحاح، والدفع من الفرنسية إلى اللغات الأخرى وقد ترجمت إلى مفردات توحى بهذه المعاني، لكن في الفارسية تُرجمت بشكل خاطئ إلى «بن مايه» أو «درون مايه»، أو «نقش مايه»، أو «بن انگاره»، أو «واگفتمايه» (تقوي ودهقان، ١٣٨٨ش: ٢٣) لأن هذه المعادلات لا توحى بالتكرار الذي يطغى على الموتيف وبالرغم من أننا نرى في مفردة «پافشارى واژگانی» معادلاً أفضل لمصطلح الموتيف إلاّ نقترح أن يتم عرض هذه المفردة على مجمع اللغة الفارسية وأدائها للنظر في معنى معادل لها.

٤. مدينة القدس وأسماؤها الأخرى

لم تحظ مدينة من مدن العالم الإسلامي بمثل ما حظيت به القدس من اهتمام سياسي، وتاريخي، وأدبي، وذلك نظراً لمكانة المدينة المقدسة دينياً وحضارياً وتاريخياً وكذلك بسبب احتلالها على يد العصابة الصهيونية. إنها القدس أولى القبلتين، وثاني المسجدين بعد المسجد الحرام، وثالث الحرمین الشريفین ومسرى النبي محمد المصطفى (صلى الله

عليه وآله وسلم) إذ إن النبي أسرى به إليه، وعُرج به منه إلى السماء، فقال تعالى في كتابه المجيد "سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ" (الإسراء: ١). وهي مدينة مباركة كما جاء في الآية الكريمة. وهذه البقعة من المعمورة من أقدم مدن العالم قاطبة. فقد روي عن الصحابي «أبي ذر الغفاري» (رضي الله تعالى عنه) يسأل رسول الله (ص) "قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ فِي الْأَرْضِ أَوْلَى؟ قَالَ: «الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ»، قُلْتُ ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى»، قُلْتُ: كَمْ كَانَ بَيْنَهُمَا؟ قَالَ: أَرْبَعُونَ سَنَةً، ثُمَّ أَيْنَمَا أَدْرَكْتَكَ الصَّلَاةُ بَعْدَ فَصَلَةٍ فَإِنَّ الْفُضْلَ فِيهِ" (المقرئزي، ١٤٢٠ق، ج: ٨، ١٩٧).

والقدس في اللغة تعني البركة، والأرض المقدسة هي بيت المقدس، والمقدّس من لا ذنب له، فهو مطهّر منها. والقدوس اسم من أسماء الباري سبحانه وتعالى، فالله صاحب القداسة ويمنحها للمقدّس. فإن حصول بيت المقدس على هذا التقديس يعود إلى اشتقاقها من اسم القدوس الذي هو أحد أسماء الله. والتقدّيس عند النصارى، هو المؤمن الذي يتوفى طاهراً فاضلاً. وروح القدس هو جبرئيل (عليه السلام) أي روح الطهر، وعند اليهود قدس الأقداس هو المكان الأكثر قدسية. وجميع هذه المعاني ترتبط بالبركة والطهارة والقدسية ولها بالدين والروح فاصبحت تألفها القلوب وترنو لرؤيتها الأنفس وتشتاق لنسائمتها الشعوب. وترسم هذه الإشارات للقدس أهمية انطلاق الرسالات السماوية للديانات الثلاث؛ الإسلامية، واليهودية والنصرانية وكل ديانة لها معالمها وحضارتها وتاريخها. ووجود هذه المقدسات في القدس وشذ الرحال من الطوائف الدينية الثلاث إليها وتقديسها وتعظيمها، تجعل المنطقة ساحة صراع دائم من أجل السيطرة عليها. فهي تارة تحت السيطرة النصرانية وأخرى تحت السيطرة الإسلامية وما إن تهدأ حتى يسيطر عليها اليهود ظلماً وبهتاناً (لدادوة، ٢٠٠٥م: ١٤-١٣).

ولهذه البقعة المقدسة أسماء كثيرة تعود إلى الحضارات المتتالية عليها، والأمم التي سكنتها؛ فقد سماها «اليبوسيون»، «أور سالم» نسبة إلى آلهة السلام عند الكنعانيين، وأطلقت عليها التوراة أسماء «مدينة الله»، و«شاليم»، و«مدينة القدس»، و«مدينة العدل»، و«مدينة السلام» و«يبوس» أو «مدينة اليبوسيين». وقد اتخذها النبي (داوود) (عليه السلام) عاصمة له وأطلق عليها «مدينة داوود» في حين أطلق عليها الإمبراطور «هادر يانوس» اسم «إيليا كابيتولينا» وبقي هذا الاسم حتى إن فتحها المسلمون. غير أنّ القرآن الكريم وأحاديث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أوردت للقدس أسماء أخرى مثل: «بيت المقدس»، و«الأرض المباركة»، و«أرض المعراج» و«أرض الإسراء»، و«أرض الرسالات»، و«مهبط الأنبياء»، و«أولى القبلتين»، و«ثاني المسجدين» و«ثالث الحرمين الشريفين» (المصدر نفسه: ١٦-١٥).

وانفردت مدينة القدس من بين جميع مدن العالم والأمكنة، في أنها صارت الملتقى الروحي لأبناء الديانات الإبراهيمية، وصعيدهم المقدس. وتتميز الرؤية الإسلامية للقدس عن رؤية الديانتين المسيحية واليهودية، في أنها تحتضن الجغرافية المقدسة لكلتا الديانتين، وتظهر التبجيل لكل ما يُذكر بأبنيانها، وما تركوا من آثار على أرضها الجليلية، حيث حمل الإسلام نظرة منفتحة على الآخر الديني، باعتباره جزءاً رئيسياً من تاريخ الوحي الواحد، ورأى في الأديان التي سبقته، إحدى تجليات وحي إلهي واحد، يأتي هو ليشكل ذروة اكتماله، وخاتمة له، ويصبح الوحي الذي أنزل على النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، تبعاً لهذه النظرة، متمماً لرسالة من سبقه من الأنبياء (الكيلاني، ٢٠٠٥م، ٢١)، وهذا ما ورد في قول الباري تعالى "قولوا آمنا بالله وما أنزل على إبراهيم و إسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم، لا نفرق بين أحد منهم، ونحن له مسلمون" (البقرة: ١٣٦).

وباتت القدس في وقتنا الراهن شغل الأمة الشاغل، وكرامتها المدنسة التي تترشح تحت الاحتلال وتستغيث أهلها ليلاً ونهاراً، وهي قضية القضايا بالنسبة للمسلمين، لأنّ تدنيس هذا القطر المبارك واحتلاله من قبل الصهيونية العالمية كان ولا يزال جرحاً دامياً في خاصرة الأمة الإسلامية، ولذلك فقد كانت مدينة القدس الشريف منذ بداية المؤامرات الصهيوغربية محط أنظار العرب والمسلمين بما فيهم شعراء وأدباء الأمتين العربية والإسلامية وهدفهم الرئيسي للدفاع عن كرامتهم واستعادة حقوقهم المهذورة ظلماً وجوراً. وقد عبّر الشعراء عنها في نتاجهم الأدبي وكرسوها شعراً ونثراً. فقد جعل الشاعر محمد مهدي الجواهري من بلاغته وأشعاره ملحمة تصوّر الماضي والحاضر والمستقبل، فقصائده في القضية الفلسطينية تاريخ وثورة وكان على تواصل بالحدث الجلل بحسه الوطني ومواقفه لما يحدث للقدس وكررها في نتاجه الأدبي ما جعلها موتيفاً يتغنى بها المتلقي.

٤-١. القدس

لقد كرّر شاعرنا اسم «القدس» سبع مرات في ديوانه، وهو أشهر اسم لهذه المدينة المقدسة منذ القرن العشرين حتى الآن، وتؤكد الدراسات أنّ اسم القدس لم يكن متداولاً في صدر الإسلام والعصر الأموي وإنّما كان الاسم المشهور حينذاك «بيت المقدس» لذلك "قال ناصر خسرو في رحلته عام ٤٣٨ هـ «وأهل الشام وأطرافها يسمون بيت المقدس، القدس. وكأنه يشير إلى أنه اسم محلي مولّد» (شراب، ٢٠٠٣م، ج ٢: ٧٣٨). فالجواهري لأول مرة ذكر القدس في ديوانه عام (١٩٣٨م) في قصيدة «يوم فلسطين» التي أنشدها إبان الثورة الفلسطينية الكبرى ضد المستعمر البريطاني فأنثى خلالها على شباب منطقة الشام بشكل عام وأهل فلسطين على وجه الخصوص الذين هبوا لنصرة وطنهم، وتطهير القدس مما لحقه من رجس وذنس، فاستهل قصيدته بشيء من الزهو والفخر ثناءً على هؤلاء الشباب:

هَبَّتِ الشَّامُ عَلَيَّ عَادَتِهَا تَمَلَأُ الأَرْضَ شَبَاباً حَنِقَا
نادباً بيتاً أباحوا قُدْسَهُ في فِلَسْطِينِ. وشملاً مِرْقَا

(الجواهري، ١٩٧٢م، ج ٢: ٣٤١)

يُظهر الجواهري في هذا المقتبس مكانة القدس المقدسة لدى أبناء الأمة الإسلامية بحيث هبوا عن بكرة أبيهم لنصرتها فور دخول الصهاينة إليها وإباحتهم للمسجد الأقصى آنذاك. لذلك نرى الشاعر يحاول أن يبيّن المكانة الروحية والدينية للقدس وما به من مقدسات إسلامية، مما أدى بأهل الشام أن يهبوا لنصرة إخوتهم الفلسطينيين. وفي «هبت الشّام» استعارة مكنية حيث ذكر الجواهري المشبه وهو الشام، وحذف المشبه به وهو الريح التي تُثار وتتحرك مثل التيار، ورمز له بشيء من لوازمه وهو «الهبوب» تجسيماً على سبيل الاستعارة المكنية. والقيمة الفنية لهذا التصوير هي استطاعة الشاعر على تثير الشعوب العربية ومواكبة الجهاد في فلسطين، وهذا يدلُّ على أن الجواهري كان يعوّل كثيراً على أبناء منطقة الشام باعتبارها القطر الشقيق لفلسطين.

واستحضر شاعرنا القدس للمرة الثانية عام ١٩٤٥م في قصيدة «ذكرى وعد بلفور» التي ألّفها في الحفل الذي أقيم في العاصمة العراقية بغداد بمناسبة الذكرى السنوية لوعده بلفور، وسلّط الشاعر الضوء فيها على ما أحاط بفلسطين وما يهددها من مخاطر، داعياً الفلسطينيين للصدوم والتضحية في سبيل وطنهم فخاطب فلسطيناً وكتّى عنها بـ «أم القدس» وعبّر عنها بـ «مهبط الوحي» وذكر بأنها منشأ ومهد ومأوى الأنبياء ومدينة ذات تاريخ وحضارة ودين وارتباط بالإله الواحد، فقال:

وَيَوْمُكَ مِثْلُ أَمْسِكِ فِي الْكِفَاحِ
وَأَمُّ الْقُدْسِ وَالتَّارِيخُ دَائِمٌ
وَمَهْدُكَ وَهُوَ مَهْبُطُ كُلِّ وَحِيٍّ
كَنْعَشِكِ وَهُوَ مُسْتَجْرُ الرِّمَاحِ
وَوَادِي التِّيهِ إِنْ لَمْ يَأُو مَوْسَى
فَقَدْ آوَى الصَّلِيبَ عَلَى صِلَاحِ

(الجواهري، ١٩٧٢م، ج ٣، ص ١٣٢)

ونجد شاعرنا هنا يسلط الضوء على المكانة المقدسة التي تحظى بها القدس ويرسم لوحة مشبعة بروح الشهادة والتضحية والنضال وكأنه يتساءل عن سبب استباحة هذه البقعة المباركة التي كانت قد اعتادت النضال والكفاح منذ القديم ويحاول الشاعر في هذه اللوحة تبين القيمة التاريخية للأرض المباركة ونضال شعبها، فرجع بالتأريخ إلى المعارك الحاسمة التي دارت على حدودها في تاريخ المسلمين مع الروم، "حيث انتصر فيها المسلمون انتصاراً عظيماً، فقد مثلت نقلة عسكرية روحية وحضارية في تاريخ الدولة الإسلامية بانتصارها على أقوى قوتين في العالم آنذاك، لذا فالبطولات العربية كانت قوية صارمة بيد "صلاح الدين الأيوبي" وبطشه (عزيز، ٢٠٠٩م: ٥). والصحراء الممتدة على طول منطقة «سيناء» والحدود الفلسطينية المصرية التي تاه فيها اليهود، إن لم تكن تأوي النبي «موسى» (عليه السلام) فهي شاهدة على نضال القائد الإسلامي صلاح الدين الأيوبي مؤسس الدولة الأيوبية باعتباره رمزاً للشجاعة والحمية الإسلامية حيث انتصر للقدس الشريف وحارب الصليبيين في سالف الدهر. فقصة تيه النبي موسى عليه السلام في صحراء سينا وما يصاحبها من ذاكرة وثقافة، تبعث في المكان فضاءات عدة تتمظهر في النص الشعري محملة بدلالات حول الانتماء والوجود في المكان، والحدث التاريخي يتحول إلى امتداد زمني يتلاقى فيه القديم والحديث ويمزج علاقات الأمكنة بالتجارب التاريخية والدينية إذ استعاد الشاعر المكان والتاريخ والشخصيات الدينية التي ارتبطت بذاكرة فلسطين ووضع القاريء أمام فضاءات وأمكنة يتداخل فيها العالم القديم والحديث. وشكل المكان والحدث التاريخي مركزاً لإطلاق نذير الشاعر عن المكان الفلسطيني، بحيث أصبح للمكان وجمالياته قيمة فنية استلهمت التجربة التاريخية ومزجتها بذاكرة المكان وهذا ما فعله الجواهري إذ استحضر من الأحداث والشخصيات ما رأى فيها استلهاماً للحالة الفلسطينية في القرن العشرين.

كما أن الجواهري استعان بالكناية عن نسبة في تثبيت الصفة اللازمة لفلسطين؛ فهو مسرى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأولى القبلتين. فصور شاعرنا حيز فلسطين الزماني في البيت الأول من المقتبس أعلاه مليئاً بالكفاح والنضال ليثبت هذه الصفات إلى أم القدس. وفي الشطر الأول من البيت الثاني صور حيزه المكاني بأنه «مهد مهبط كل وحى» وهو كناية عن الأديان السماوية من اليهودية فالنصرانية، إلى الإسلام، فجعل فلسطين مهداً يهبط فيه كل وحى وشبهه بالنعش، ولكي يجعل المتلقي يتخيل هذا الكفاح رسم له صورة تشبيهية، تجمع بين المهد والنعش التي كانت قد انهالت عليه الرماح. إن قدرة الجواهري الشعرية ارتأت أن تبين مدى قوة الكفاح والمقاومة لدى الفلسطينيين عبر تشبيه المهد الفلسطيني (المشبه) بالنعش (المشبه به) وخصه بـ «مستجر الرماح» (وجه الشبه)، رابطاً بين الطرفين بـ «الكاف» (الأداة). كما أنه شبه في البيت الأول من المقتبس أعلاه اليوم الفلسطيني (المشبه) بالأمس (المشبه به) واستخدم أداة التشبيه (مثل) لتسليط الضوء على وجه الشبه (الكفاح).

وفي قصيدة «في ذكرى عدنان المالكي» (١٩٥٧م) التي نظمها بمناسبة الذكرى السنوية الثانية لاستشهاد العقيد المالكي الذي كان قد سطر بطولات مشرفة في مقارعة العدو الصهيوني لدى مشاركته في حرب عام ١٩٤٨م ضد المحتل

الصهيوني، فاستحضر الشاعر القدس الشريف للمرة الثالثة وأعلن في راعته هذه صراحة مخالفته للسلام مع الكيان الصهيوني وحث أبناء الأمة العربية على الجهاد والأخذ بالثأر لأولى القبلتين:

وَحشٌّ يَمزُقُ أَهْلُوهُ فَتَتَجَدَّهُمْ مِنْ الإِعَارَةِ أُنْيَابٍ وَأظْفَارٍ
يَا لِلْحَفِيظَةِ أَجْيَالٍ يَسْخَرُهَا بَيْعٌ وَيَغْلِقُهَا فِي الذِّلِّ إِيجَارٌ
وَفِي ذَرَى الْقُدْسِ مَسَحٌ شَاءَ خَالِقُهُ أَنْ تَحْتَمِيَ بِحِمَى الأَقْدَاسِ أَوْصَارُ

(الجواهري، ١٩٧٢، ج ٤: ٢٦٨)

ف نجد الشاعر هنا يستحضر التاريخ في أبرز لحظاته المتوهجة لشحن الحاضر، وبلتفت إلى مأساة زرع الكيان الصهيوني في خاصرة الأمة العربية وبشير إلى إحاطة اليهود بالمسجد الأقصى ويمضي يعبر عن أمنيته بزوال هذه الغدة السرطانية من الشرق الأوسط ويقول إن الله قضى أن تزول هذه الجرثومة الخبيثة على أيادي أناس أطهار فيقدم الجواهري صورة فنية يرمي من خلالها إلى تحريض أبناء الأمتين العربية والإسلامية على مقارعة العدو ودفعهم إلى ساحات التضحية والجهاد. وفي البيت الأول من المقتبس أعلاه أطلق الشاعر لفظي «أنياب» و«أظفار» على «القوة» على سبيل المجاز المرسل وعلاقتها السببية، لأنهما سبباً في القدرة والقوة.

وفي اللوحة الرابعة التي يرسمها في قصيدة «الخطوب الخلاقة» (١٩٦٧م) يستحضر الجواهري «فلسطين» رمزاً للمسلوب والمنكوب، ويستذكر «القدس» ويناشد الزعيم المصري آنذاك «جمال عبد الناصر» الذي كان قد خاض غمار حرب حزيران ١٩٦٧م والذي بدت له ملامح الكارثة في وقت مبكر. فقال:

نَاشِدْتُكَ العُرْوَةَ الوُثْقَى بِمَا انْتَفَضَتْ بِهِ الشُّعُوبُ وَمَا رَضِيَتْ بِهِ الأُمَّمُ
أَنْقُذْ فِلَسْطِينَ مَرْدُوداً بِهَا حَرَمٌ عَلَى ذَوِيهِ ، وَ مَرَكُوزاً بِهَا عِلْمٌ
وَلَبَّ فِي جُنُبَاتِ الْقُدْسِ صَارِخَةً مِنْ قَبْلِ أَدْرِكْهَا فِي الرُّومِ مُعْتَصِمٌ

(الجواهري، ١٩٧٢، ج ٥: ٢٥٥)

ف نرى الجواهري هنا وهو قد سمع بنتائج حرب حزيران المأساوية، يناشد عبد الناصر أن ينقذ فلسطين من الاحتلال فيستعين بالتاريخ الإيجابي لأمتة وواقعة «فتح عمورية» بيد الخليفة «المعتصم بالله العباسي» الذي لثى نداء المرأة المسلمة التي غدر بها الروم فأسروها ونادت «وا معتصماه». فأجابها المعتصم من العراق وجهز جيشاً قاده بنفسه، واقترح به عمورية، ولم يرجع إلا بالأسيرة المسلمة. فربط شاعرنا بين الصارخة التي لثى المعتصم نداءها، وبين الصارخة التي في القدس، وتبحث عن يسمع صوتها ويهب لنجدتها ليحررها من قبضة المحتل.

وفي قصيدة «ذكرى عبد الناصر» التي أنشدها وألقاها في احتفال الذكرى السنوية الأولى لوفاة الزعيم المصري جمال عبد الناصر الذي أقيم عام ١٩٧١م بالقاهرة، استحضر الجواهري مدينة القدس خامسة وبمناسبة احتلالها وضرورة تحريرها رفض أسلوب الاستجداء والشكوى، واعتبره دليل الضعف والهزيمة، وتبنى سياسة القوة، وشدد عليها باعتبارها السبيل الأوحى لانتزاع الحق:

سَأَلْتُ نَفْسِي لَا أُرِيدُ جَوَابَهَا أَنَا أَمَقْتُ الصَّرَاخَ وَالبِكَاءَ
أَتَرَى "صَلاَحَ الدِّينِ" كَانَ مُحَمَّقاً إِذْ يُسْتَشِيطُ حَمِيَّةً وَإِبَاءَ
أَمْ عَادَتِ "الْقُدْسُ" الهَوَانَ بَعِينِهِ؟ أَمْ عَادَ دِينُ الْمُسْلِمِينَ رِيَاءَ؟

(الجواهري، ١٩٧٢، ج ٦: ٦٠)

ونجد الشاعر هنا يستنطق التاريخ ويعود إليه في منعطفاته الخطيرة ليستفد من تجارب الماضي لشحن الحاضر، منطلقاً من التوتر الحاد بين الماضي في لحظاته المضيئة وواقع الأمة المهزوم بالوقت الراهن. ويدعو أمته بأن لا ترضى بالذل والهوان ويبيّن ما عليها فعله، فيأتي الشاعر هنا ليبيّن طريق الخلاص من المأزق الذي وقعت فيه أمته وكيفية التعامل مع المحتل الغاشم. فيرسم لها خارطة الطريق بأنه لا سبيل سوى سبيل المقاومة والجهاد لحد العدو ولذا يركّز الجواهري في هذه اللوحة على أسلوب الاستفهام، وهو سؤال إنكاري، جوابه النفي، قصد منه تقرير حقيقة بأنه لن تعود أرض احتلها الأعداء بغير القتال والجهاد.

وفي قصيدة «إلى وفود المشرقين تحية» التي أنشدها عام ١٩٧٤م وألقاها في المؤتمر التضامني مع شعوب الخليج الفارسي الذي أقامته منظمة تضامن الشعوب الآسيوية والأفريقية في قاعة جمعية الاقتصاديين العراقيين، سخر شاعرنا من الحلول السلمية التي لم يجنّ العرب منها شيئاً واستذكر القدس للمرة السادسة وعدّد المؤامرات الصهيونية لنهب الأراضي المباركة:

وما يُدعى «فلسطيناً» مراحٌ متى شئنا، وشاءت مُستطابٌ
 وهل هي غير أرضٍ واستُبيحت؟ فأرض الله واسعةٌ نهابٌ
 وبيّت القدس ليس سوى مزارٍ يُراد الأجر فيه، والثواب!

(المصدر نفسه : ١٦٨-١٦٧)

يحاول الشاعر هنا عبر رسمه لوحة فنية أن يبيّن المؤامرات الصهيونية وحُماهم لخدع العرب بما تُسمّى المبادئ والحلول السلمية، بينما الحركة الصهيونية هي التي احتلت هذه الأرض المباركة بالقوة ولم تنازل عنها لا بالحلول السلمية ولا بالمبادئ الإنسانية، فكيف بالعرب أن يقبلوا بهذه المسميات للتفریط بالقدس الشريف؟. إذا كانت فلسطيناً والقدس الشريف بقع أرض مثل باقي الأراضي لماذا اليهود لا يختارون أرضاً أخرى للسكنى ويتركونها لسكانها الأصليين؟. وفي قصيدة «إلى المجده.. إلى القمة..» التي أنشدها عام ١٩٧٨م، وصف حالة الأمة العربية التي باتت يرزى لها بسبب فقدانها القدس الشريف وعدم تحركها لتحريرها وإعادتها إلى حضنها:

«وقدس» تعطلّ فيه الأذانٍ وذُيدَ به السُجْدُ الرُكَّعُ
 ونحن إلى نجدة الواهيين بأضعف إيماننا نقتنع

(الجواهري، ١٩٧٢، ج ٧: ١٣٩)

ونرى الشاعر هنا قد أدرك قدرة الاستدعاء على الإيحاء والتأثير في نفوس المتلقين بما تمتلك مدينة القدس من القداسة في نفوس الأمتين العربية والإسلامية ونوعاً من اللصوق بوجودها، فاستحضرها للمرة السابعة والأخيرة في شعره ووصف الأجواء الحزينة التي تخيم على المسجد الأقصى بحيث أصبح لا يرتفع فيه الأذان وكأنه لم يكن المسجد الإسلامي الذي كان يرتفع فيه صوت الأذان كل صباح ومساء. وليس غريباً أن يحاور شاعرنا ضمير أمته بعد ما تسلل إلى قلوبها من قناة القدس السليب، ويصوّر له عجز الأمة عن تحرير القدس من أجل تويرها وإنهاضها ضد الصهاينة الذين أتوا من شتى أرجاء العالم وتجمّعوا في الأرض المباركة.

يعتبر اسم «أورشليم» من أقدم الأسماء المنسوبة لمدينة القدس وهي في حقيقتها تسمية كنعانية أصيلة، ويتكوّن هذا الاسم من جزئين؛ الأول «أور» ويعني مدينة والثاني «شليم» أو «شاليم» بمعنى السلام، فهي «مدينة السلام»، وهذه التسمية ترتبط بوجود المسجد الأقصى فيها. فالبلد الحرام هي مكة المكرمة ومفهوم السلام والحرام، فمكة بلد حرام يأمن فيها الإنسان ويطمئن قلبه وتفر عينه لما تحويه من قدسية، والقدس كذلك مدينة السلام فالنشأة واحدة وأساس مكة وجود الحرم وأساس القدس وجود المسجد الأقصى. وقد كان أول بيت للعبادة هو بيت مكة، ثم تلاه بعد أربعين عاماً بيت المقدس (العارف، ١٩٩٦: ٤-٢).

ولم يستخدم الجواهري هذا الاسم أكثر من مرة واحدة، لعل ذلك يعود إلى دلالة هذا الاسم حيث يحبه اليهود الصهاينة ويعتبرونه لهم. لكن مع ذلك فشاعرنا لا يترك هذا الاسم بالكامل للعدو إذ استخدمه مرة واحدة لعله يريد القول بأنه مهما قال الصهاينة ومهما سوّلت لهم أنفسهم فإن هذه البقعة المباركة إسلامية مهما تغيّرت الأسماء والعناوين. فلدى وصفه فلسطين وجمال القدس الشريف، عبّر عنها بأورشليم:

وَعَنَى "أُورُشَلِيمَ" يُعِيدُ لِحْنًا
وَحَوْلِي مِنْ شِبَابِكِ أَيُّ رَوْضٍ
لِدَاوُدَ هَزَاؤُ بِالصُّدَاخِ
يُنْمُ حَدِيثُهُ بِشَذَا الْأَفَاخِ
وَأَلطَافٍ، كَأَنْفُسِهِمْ عِذَابٍ
وَأَسْمَارٍ، كَأَوْجُهُمْ صَبَاخِ

(الجواهري، ١٩٧٢ م، ج ٣: ١٣٢)

ونرى هنا شاعرنا قد أدرك البعد الدلالي لاسم أورشليم واستخدمه لما له من مدلولات تاريخية كنعانية ودينية، وضحّن شعره هذه التسمية كشاهد على أحقيتها العربية والإسلامية. فهو استذكر اورشليم على عكس ما استخدمه اليهود. وهكذا وصف فلسطيناً وجمال بيت المقدس وتغريد طائر العنديل فيها، وطيبة أبنائها الذين يشبه كلامهم عطر نبتة الأفاح ورسم حالة القدس، وأهلها، وطائر البلبل الذي راح يغرد ويغني لحناً يعود إلى النبي «داوود» عليه السلام. وهنا لأبد من التنويه إلى أن «ادعاءات اليهود المتلاحقة بحقهم في القدس، وأنها أرض الميعاد، وتنسب للملك داوود وابنه سليمان (عليهما السلام) ما هي إلا أكاذيب خالية من الصحة، لأنّ مدينة أورشليم كانت موجودة قبل داوود بالآف السنين» (لدادوة، ٢٠٠٥م: ٣٧).

٤-٣. بيت المقدس

إن بيت المقدس أحد أسماء القدس العتيقة نسبة للقدسية التي تتمتع بها هذه المدينة المباركة بسبب وجود المسجد الأقصى فيها. وغلب اسم «بيت المقدس» على المدينة منذ الفتح الإسلامي لها وأن تداول التسمية ببيت المقدس فيما ورد في الأحاديث النبوية الشريفة يدل دلالة واضحة على أن تلك التسمية كانت معروفة في عهد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم). فقد استفاضت الأحاديث النبوية في ذكر اسم بيت المقدس على نحو لا يمكن إنكاره؛ فمن ذلك: "لَمَّا كَذَّبْتَنِي قُرَيْشٌ قُمْتُ فِي الْحِجْرِ فَجَلَى اللَّهُ لِي بَيْتَ الْمَقْدِسِ فَطَفِقْتُ أُخْبِرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ" (النيسابوري، ٢٠٠٦م: ٩٣). "أَتَيْتُ بِالْبُرَاقِ فَرَكِبْتُهُ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلْقَةِ الَّتِي يَرِبُطُ بِهَا الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ" (المصدر نفسه: ٨٦-٨٥).

ولم يحظ اسم بيت المقدس بأكثر من إشارة سريعة في قصيدة «يا ابن الفراتين» التي أنشدها عام ١٩٦٩م أي بعد حوالي عامين من نكسة فلسطين وهزيمة حزيران ١٩٦٧م وتكلم الشاعر فيها عمّا يعانیه الفلسطينيون من آلام وفجائع ويُرجع كلّ ذلك إلى تقاعس وتواطؤ الأنظمة العربية حيال ما يحدث للفلسطينيين، فاخترل مآسي العرب وأوزارهم وقال:

دَعُوا إِلَى الْوَحْدَةِ الْكُبْرَى فَقُلْتُ لَهُمْ نَذِرٌ لِدَلِكِ مَيِّ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ
خَمْسِينَ ظَلْتُ أَنَاغِيهَا كَمَا نَعَمْتُ أُمُّ الْوَلِيدِ يُنَاغِي عِنْدَهَا الْوَلَدُ
فَفِي فِلَسْطِينَ خَبِلُ الرَّجْسِ مُحْكِمَةٌ رَبَاطُهَا وَبَيْتَ الْمَقْدَسِ الْوَتْدُ
وَقَدْ أَطَالَتْ سِيَاطُ الْبَغْيِ جَلَدَتْهَا يُسْوَى بِهَا جِلْدُ أَحْرَارٍ وَتُعْتَبِدُ

(الجواهري، ١٩٧٢م، ج ٥: ٣٦٧-٣٦٦)

وبعد الصور السابقة نجد الجواهري هنا يعمد إلى رسم لوحة مآسي العرب واحتلال القدس الشريف الذي عبّر عنه هنا ببيت المقدس ليذكر المتلقي والأمّتين العربية والإسلامية بقدسيتها، وذلك من باب تبيين زيف ادعاءات الأنظمة العربية التي كانت قد تغتت بتحرير القدس لفترات طويلة. فهو لم ينس تذكرة الحاضرين بمشاريع الوحدة العربية التي ظلت مجرد أحلام بعيدة عن أرض الواقع وأنه كافح من أجل ذلك لكن من دون جدوى. وقد استطاع شاعرنا أن يصيغ هواجسه في هذه القصيدة بصوته الشعري الصادر من أعماق قلبه بل وكل جوارحه. فتطرق إلى الوحدة العربية ثمّ عزّج على احتلال القدس وانتهاك حرمتها وصولاً إلى تسليط الضوء على التفكك الذي أصاب الأمة العربية في ظل زعامة أشخاص لا يرون العالم إلا من خلال مصالحهم الضيقة. وقد يترك استحضار بيت المقدس تساؤلاً وهو «لماذا بيت المقدس وليس القدس؟» لأنه يحمل دلالات هادفة إذ إن شاعرنا أراد أن يستوحي قدسية وقدمه هذه المدينة المباركة، فجعل من هذه الدلالة استحضاراً للتاريخ.

وبما أن القدس تقدّست بسبب وجود المسجد الأقصى فيها، فإن ديوان الجواهري لم يخل من هذا المكان المقدس فعندما أراد شاعرنا أن يصف الأجواء الحزينة التي تخيم على القدس الشريف، استذكر المسجد الأقصى ورسم لوحة عنه تتجلى في عدم رفع الأذان وفيه كأنه لم يكن المسجد الإسلامي الذي كان يرتفع فيه صوت الأذان كل صباح ومساء وأنه كان أحد المراكز الإسلامية الرئيسية، لكنه بفعل الانتداب وتزايد أتباع الحركة الصهيونية وهجرة اليهود والمؤامرات الدولية ضد فلسطين بات هذا المسجد حزيناً لا يرتفع فيه الأذان:

ذَهَبَتْ فِلَسْطِينٌ كَأَنَّ لَمْ تَعْتَرِفْ مِنْ كَافِلِيهَا ضَامِنًا وَكَفِيلاً
وَالْمَسْجِدُ الْأَقْصَى كَأَنَّ لَمْ يَرْتَفِعْ فِيهِ أَذَانٌ بَكْرَةٌ وَأَصِيلاً
وَوَرَى صَلاَحِ الدِّينِ دَيْسَ وَأَنْعَلْتُ مِنْهُ جِيُوشُ الْوَاغِلِينَ خِيُولًا

(الجواهري، ١٩٧٢م، ج ٣: ٢٤٧)

ونجد هنا الشاعر يحمل في ضميره وقلبه ووجدانه همّ الأقصى، بحيث انتقى له أجمل وأروع المعاني للتعبير عن ما أصابه وما ينتظره من احتلال ودنس وانتهاك لحرماته. وباستحضاره التاريخ والقائد الإسلامي «صلاح الدين الأيوبي» مؤسس الدولة الأيوبية الذي كان قد انتصر للقدس الشريف وحارب الصليبيين، أراد شاعرنا أن يظهر القيمة التاريخية والدينية للأقصى فرجع بالتاريخ وصرّح بأن قوات الانتداب والصهاينة داسوا هذه الأرض المباركة وراحوا يسرحون ويمرحون فيها. فصلاح الدين قاد عدّة حملات ومعارك ضد الصليبيين الأوروبيين في سبيل استعادة الأراضي المقدسة

التي كان الصليبيون قد استولوا عليها في أواخر القرن الحادي عشر، وقد تمكن في نهاية المطاف من استعادة معظم أراضي فلسطين ولبنان بما فيها مدينة القدس.

وفي المقطع الأخير من قصيدة «ناغيت لبناناً» يتطرق الجواهري إلى القضية الفلسطينية بشكل مباشر، ويخصّ بالذكر مدينة القدس الشريف التي هي موطن النبي عيسى (عليه السلام) ومسرى نبي الرحمة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وفيها المسجد الأقصى المبارك ويرمز إلى الأجواء الحزينة التي تخيم عليها بالليل، فيقول مخاطباً الشاعر والرئيس اللبناني الشيخ «بشارة الخوري» الذي كان في زيارة رسمية إلى العاصمة العراقية بغداد:

جِئْتَ الْعِرَاقَ وَمِنْ فَلسْطِينِ بِهِ
وَالْمَسْجِدَ الْمَحْزُونُ يُلْقِي فَوْقَهُ
وَعَفَّتْ كَأَن لَمْ يَمْشِ فِي أَرْجَانِهَا
وَجَعَّ مُطَبِّئُهُ يَعُودُ عَلِيلاً
ليلاً على الشرق الحزين طويلاً
«عيسى» و«أحمد» لم يطرُ محمولاً

(المصدر نفسه)

ونرى هنا الشاعر يستغل زيارة الخوري إلى بلاده لإلقاء الضوء على القضية الفلسطينية، ويطلب من الضيف اللبناني أن يتحرك نصرة للقدس والمسجد الأقصى ليزيل عنه حزنه، فرسم لوحته وعتمها بظلمة الليل، وهو يشيء بالقسوة والظلم والاحتلال، الأمر الذي أدى بالأراضي الفلسطينية أن تعاني ألماً لم يعد الطبيب قادراً على معالجته، فالطبيب ذاته بات عليلاً ويحتاج إلى من يعالجه، والمسجد الأقصى بات محزوناً ولا تظهر فوقه بوادر أمل تُنبئ بإزالة هذه الظلمة التي تخيم عليه، فرسم الشاعر هذا الليل بأنه طويل. والنص أيضاً يستحضر فلسطيناً بصيغة التذكير الإنساني ويصوره كأنناً حياً، كما أنه يستذكر النبي «عيسى ابن مريم» (عليه السلام) باعتباره رمز الفداء والمقاومة والتضحية واستذكر تردده في أرجاء فلسطين، كما استدعى النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) إذ أسرى به الباري سبحانه وتعالى ليلاً من المسجد الحرام في مكة المكرمة إلى بيت المقدس في فلسطين، وأنه انتقل من القدس الشريف في رحلة سماوية بصحبة جبرئيل (سلام الله عليه) وعرج به إلى الملاء الأعلى عند سدره المنتهى أي إلى أقصى مكان يمكن الوصول إليه في السماء وعاد بعد ذلك في نفس الليلة، رابطاً بذلك بين الحيز المكاني لفلسطين والأحداث التاريخية المتمثلة بتواجد هذين النبيين في الأرض المقدسة. كما أن الشاعر استحضر الآية المباركة ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (أسراء : ١) ونرى هنا ظاهرة التناص الديني وتفاعل الجواهري مع النصوص القرآنية لما لهذه التقنية من تأثير في إنتاج الدلالة وما تشكله من أبعاد فنية بوصفها ضرباً من تقاطع النصوص الذي يمنح النص ثراءً وغنىً ويسهم في النأي به عن حدود المباشرة والخطابة.

٤-٤. أولى القبليتين

يقع المسجد الأقصى في قلب مدينة القدس ويعتبر من أقدم المساجد على وجه الأرض حسب الحديث النبوي الشريف الذي مرّ ذكره وقد أصبح قبلة المسلمين الأولى بعد أن فرضت الصلاة على نبي الرحمة (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلى أتباع دينه الحنيف. فعندما قدم النبي (ص) إلى المدينة المنورة وجد اليهود يصلون إلى بيت المقدس فصلى (صلى الله عليه وسلم) في المدينة إلى بيت المقدس حوالي سنة ونصف السنة ثم جعل يقلب وجهه في السماء رجاء أن يحول الله القبلة إلى البيت الأول أي إلى الكعبة المكرمة فصرف الله تعالى القبلة إلى بيته الحرام فقال تعالى: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ

وَجْهَكَ فِي السَّمَاءِ فَلَمَّا لَمَسْنَا نَكَبْنَا لِجُنُودِكُمْ النَّارَ وَمَا كُنَّا بِمُعْجِزَيْهَا أَعْمَى ﴿١٤٤﴾ (البقرة : ١٤٤) فصار النبي صلى الله عليه وسلم يصلي إلى البيت الحرام وهو الكعبة المعظمة وصار المسلمون من ذلك الوقت إلى يومنا هذا يصلون إلى المسجد الحرام. ففي إحدى اللوحات الفنية التي رسمها الجواهري عن القدس، استذكر أولى القبلتين لما لها من مكانة مقدسة لدى المسلمين. وتحدث عن الاستعمار وأشكاله في البلاد العربية، وألحق به الكيان الصهيوني المحتل لفلسطين، وراح يصف مطامع هذا العدو في الشرق الأوسط وقال:

لَمْ تَكْفِهِ الْقِبْلَةُ الْأُولَى يَعْثُ بِهَا حَتَّى آتَى الْقِبْلَةَ الْعَصْمَاءَ يَمْتَا
شَكَّتْ مِياةً طَهَوْرَاتٌ بِحُورَاتِهَا أَنْ شَقَّهَا مِنْ يَهُودِ الرِّجْسِ بِحَارٍ
يَأْبَى «سَعُودٌ» وَيَأْبَى طَانْفٌ بِمَنْئَى وَاللَّهُ وَالْبَيْتَ وَالصَّدِيقُ وَ«الْغَارُ»

(الجواهري، ١٩٧٤، ج ٤: ٢٦٨)

ونجد الشاعر هنا يبدأ لوحته بلفت الأنظار إلى القبلة الأولى، ثم يشير إلى محاولات العدو الصهيوني للاستيلاء على مياه خليج العقبة وتمرير سفنه من هناك والوصول إلى ثاني القبلتين الشريفتين بمكة المكرمة بعد ما عاث عبثاً بالقدس الشريف. وكأن شاعرنا يريد إفهام المتلقي بأن هذا العدو الصهيوني لن يقف عند حد إلا أن يتكاتف العرب ويضعون حداً له عبر تحريرهم قبلتهم الأولى. فمحاولات هذا العدو أدت إلى أن ترفض المياه الطاهرة ذلك وتشكي من أن يشقها بحارٌ من اليهود، وحتى الجماد ترفض إسرائيل، فوجود العدو الصهيوني منبؤ من قبل الجميع. ونستقري من هذه الآيات دلالات الوضع السياسي الذي تعاني منه مدينة القدس وليت الأمر يتوقف عند هذا الحد بل إن الصهاينة يتابعون المحاولات للاستيلاء على مناطق عربية أخرى بما فيها ثاني القبلتين الشريفتين بمكة المكرمة بعد ما عاثوا بالقبلة الأولى فساداً وهكذا تتسج الأحداث علاقتها بالمكان العربي.

وفي قصيدته التي ألحها في الذكرى السنوية الأولى لرحيل الزعيم المصري جمال عبد الناصر، قال الجواهري:

مَا أَشْجَعَ «الْأَسَادِ» تَعَجَزَ كُلُّهَا عَنْ أَنْ تَنَازَلَ حِيَّةَ رَقَطَاءَ !!
خَمْسٌ مِئُونَ مَلَّةً وَعَرُوبَةٌ تَعْطِي الصَّغَارَ ثَلَاثَةَ لِقَطَاءَ
تَلْهُو وَ«ثَانِي الْقِبْلَتَيْنِ» مُبَاحَةٌ وَتُعَيِّدُ «المِعْرَاجَ» وَ«الإِسْرَاءَ»

(الجواهري، ١٩٧٤، ج ٦: ٥٨-٥٩)

والجواهري هنا بعد الثناء على جمال عبد الناصر، يحاول أن يوجّه رسالة إلى أمته بضرورة التمسك بالقدس الشريف والأقصى المبارك الذي سبق وصلى المسلمون نحوه، فهو يمثل صلب عقيدة الأمتين العربية والإسلامية، فاستغرب من عجز أسود الأمة أن يقارعوا العصابة الصهيونية بحيث خمسمئة مليون مسلم عجز عن منازلة ثلاثة ملايين صهيوني، فما بال هذه الأمة تلهو وقبلتها الأولى مباحة؟ فإن الحسرة والألم يعتصران شاعرنا على ما آلت إليه الأرض المباركة من تدنيس وتهويد وهو لا يريد سلاماً مع اليهود.

٤-٥. مهبط الوحي ومهبط الرسل

حظيت القدس باعتبارها مهبط الوحي بمنزلة إسلامية مهمة، فقد كرمها الله بالقداسة منذ فجر التاريخ، فبُني فيها المسجد الأقصى ثاني مسجد في الأرض بعد المسجد الحرام، وضمت أماكن دينية أخرى كمسجد قبة الصخرة وحائط البراق وغيرهما، وقد خصها الله بالإسراء والمعراج، لذلك فهي تحتل مكانة كبيرة في الوجدان العربي والإسلامي، منزلة لم تحتلها مدينة أخرى في التاريخ، فهي روح فلسطين وقلبها وجسدها، ورمزها الديني والانساني والقومي، فلا غرابة إذا أصبحت علامة تتجه إليها الأبصار، ومنازة تشد الشعراء والفنانين إليها منذ العصور القديمة.

وتحولت الأمكنة الواقعية بأبعادها التاريخية والدينية إلى علامات مرجعية في فلسطينيات الجواهري وأصبحت محطات وعلامات تحمل دلالات رمزية ترتبط بالوجود الفلسطيني في هذه البقعة الإسلامية، فجسد القدس الشريف أحد أهم عناصر الهوية ومركز الانتماء العربي والإسلامي. فلدى مخاطبة الجواهري فلسطيناً في قصيدة «الشباب المر» وتساؤلها عن أسباب تخلف وانتكاسات أبناء هذه البقعة من الأراضي الإسلامية، يعبر عنها بـ «مهبط الرسل» ويعتبرها محتلة تماماً كما ضاعت قبلها «الأندلس»، وباستحضاره الجوار الثلاثي لأولى القبلتين أي الشام ومصر والعراق، يحذر من مغبة تكرار انتكاسة الاندلس في الشرق الأوسط.

يا مَهْبِطَ الرُّسُلِ الدِّعَاءِ إِلَى الْهَدْيِ عَلِيَا بَنِيكَ عَنِ الْعَلَى مَا عَاقَهُ
رَحَّحَتْ بِمَدْرِجَةِ الْخُطُوبِ فَنَاقَتَهَا شَأُو الْمُجِدِّدِ مِنَ الشُّعُوبِ وَفَاقَتَهَا
لَحَقَّتْ فِلَسْطِينَ بِأَنْدَلُسِ أَسَى وَالشَّامِ سَاوَتْ مِصْرَهَا وَعِرَاقَهَا

(الجواهري، ١٩٧٢ م، ج ١: ١٨١)

ونرى الشاعر هنا يحاول في لوحته هذه أن يصوّر قدسية المكان وعلو شأن أهله الذين قطنوا القدس منذ زمن بعيد، ونشاهده أن يطير بقلبه عبر الأبيات السابقة من ثغر إلى ثغر ومن بلد عربي إلى آخر ومن مكان إلى مكان، ولكنه أخيراً يهبط ويحط في بلده العراق. وتحمل هذه الأمكنة لديه الحُب والارتباط بالأرض العربية والإسلامية وتصوّر ملامح تشكّل الدلالة النفسية والاجتماعية عند الشاعر.

٥. النتائج:

- أ. اتّخذ الجواهري من موتيف القدس أداة جمالية تخدم مواضيعه الشعرية، إذ تكشف عن إلحاح وتأكيده الذي يسعى إليه، فبات عنده صورة لافتة للنظر تشكلت في ديوانه المكوّن من سبعة أجزاء ضمن محاور متنوعة وقعت غالباً في مفردة القدس أو أسمائها الأخرى.
- ب. وجدنا الشاعر ومن خلال توظيفه موتيف القدس في ديوانه، ضمّن شعره دلالات نفسية وانفعالية قدمّها للمتلقى حسب السياق الشعري، مُدَكِّراً بذلك الأمتين العربية والإسلامية بمكانة القدس الشريف في الحضارتين العربية والإسلامية، والقبلة الأولى للمسلمين والمطامع الصهيوغربية تجاه هذه البقعة المباركة.

ج. لمعت صورة القدس في أغلب قصائد الشاعر الفلسطينية، فأصبحت هي موضوع شعره وناقدته التي يتناول من خلالها القضية الفلسطينية، فثالث الحرمين الشريفين أخذ في شاعرنا كل مأخذ حتى أصبح يعيش في عقله ووجدانه.

د. استحضرت الجواهري لدى تكراره موتيف القدس بعض المواضيع والأحداث التاريخية والدينية، وسلط الضوء على المضامين التي توحى بها هذه الأحداث لتثوير العرب والمسلمين لدحر الاحتلال وتحرير فلسطين من دنس الصهيونية العالمية. فجاء ببعض الرموز الدينية مثل النبي «محمد» (ص) والنبي «عيسى» (عليه السلام) وبعض الرموز التاريخية مثل «صلاح الدين الأيوبي» و.. للتحريض على مقارعة العدو الصهيوني، واستعادة الأرض المحتلة.

هـ. رسم الجواهري عبر تكراره موتيف القدس لوحات فنية وجعل المتتبع لشعره يعيش الأحداث التاريخية، وينقله إلى أحواله النفسية، إذ كان يضيف على بعض هذه اللوحات مشاعره الخاصة تجاه القدس الشريف.

و. لقد كان الشاعر صانعاً ماهراً ومجيداً في لغته، فلم نجد عنده خطأ في المفردات التي وردت في شعره معجبياً، فهو ضاهى بحق في تلك القصائد التي تناول فيها القدس كما سائر شعره فحول الشعرا العرب من الجاهليين حتى معاصريه ومن بعده، هذا إن لم يكن قد تفوّق على أغلبهم.

ز. صوّر الجواهري المأساة التي حلّت بالقدس الشريف أدق تصوير، مستخدماً أروع الصور البيانية الموحية، وحث الشباب الفلسطيني والعربي على مكافحة الغزاة واسترجاع ما احتل من الأرض المباركة بالقوة، كما أنه حمّل الحكام العرب مسؤولية هذه المأساة.

ح. أزال الشاعر الجواهري عبر استحضاره القدس في شعره القناع عن تخاذل القادة العرب، محملاً إياهم الهزائم التي تلحق بالأمة العربية. وانتقد سياسة التطبيع والقبول بالأمر الواقع، وسخر من الحلول الاستسلامية. وجعل من القدس معلماً لإطلاق إنذاره وتحذيره فلسطين من النيات الخبيثة والأساليب الأجنبية والمؤامرات الخطيرة التي تحاك ضدها، فأخذ يشجع أبناء الأمة الإسلامية على مواجهة العدو بما تمتلك من قوّة، بدلاً من الحوار معه والدوران في فلك أجندته واسترضائه.

ط. تبين لنا من هذه الدراسة أن فلسطين عموماً والقدس على وجه الخصوص هما من أبرز الموتيفات في فلسطينيات الجواهري، ويعود سبب ذلك إلى مشاعره القومية، وأن تكرار هذه الموتيفات والإلحاح عليها يدلّ على أهميتها لدى شاعرنا، وتكشف عن رؤيته فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية ومكانة القدس الشريف في ضميره ووجدانه.

ي. كان موتيف القدس في شعر الجواهري، دفقة شعورية يكمن وراءه شعوره القومي والديني ويقصد به العثور عن مخرج، تخلص الأمة مما ابتليت به الأمة جراء احتلال فلسطين وكشف هذه الغمة عن أمته، فباتت القدس رمزاً للمسلوب والمنكوب، وأصبحت للإنسان العربي والإسلامي مرشدة توجّهه إلى الطريق الصواب وتحرضه على

الأخذ بالتأثر لفلسطين ودحر المحتل. كما أن المسجد الأقصى باعتباره معلماً من معالم هذه المدينة المقدسة لم يغيب عن ذاكرة الشاعر، ويعود ذلك إلى حد بعيد إلى وجدان الجواهري المتماسك مع التراث الديني والثقافي. ك. لايقوم موتيف القدس في شعر الجواهري على مجرد التكرار في السياق الشعري، بل يقوم على ما يتركه هذا التكرار من أثر انفعالي في نفس المتلقي، والمساعدة على إثراء الدلالات. كما أن شاعرنا كان موفقاً في توظيفه شتى أسماء مدينة القدس لتحفيز الهمم، والتحريض على مقارعة العدو، وبيان المعاناة والمأساة الفلسطينية.

٦. المصادر

القرآن الكريم

- أبو العمرين، جيهان عوض (٢٠١٤)، **جماليات المكان في شعر تميم البرغوثي**، الدوحة: جامعة قطر.
- باشلار، غاستون (١٩٨٤م)، **جماليات المكان**، ترجمة غالب هلسة، الطبعة الثانية، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر.
- البقيلي، فاروق (١٩٧٤م)، **الجواهري: ذكريات أيامي**، بيروت: مطبعة دار الفارابي بمشاركة مطبعة الثورة العربية في بغداد.
- جبران، سليمان (٢٠٠٣)، **مجمع الأضداد؛ دراسة في سيرة الجواهري وشعره**، الطبعة الأولى، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- الجواهري، محمد مهدي (١٩٧٢)، **ديوان الجواهري**، الجزء الأول إلى الجزء السابع، الدكتور إبراهيم السامرائي، بغداد، مطبعة الأديب.
- الجواهري، محمد مهدي (١٩٨٨)، **ذكرياتي**، الجزء الأول والثاني، الطبعة الأولى، دمشق، دار الرافدين.
- الدجيلي، عبد الكريم (١٩٧٢م)، **الجواهري، شاعر العربية**، ج ١، النجف الأشرف: مطبعة الآداب.
- شراب، محمد محمد (٢٠٠٣م)، **موسوعة بيت المقدس والمسجد الأقصى**، ج ٢، الطبعة الأولى، عمان: الأهلية للنشر والتوزيع.
- العارف، عارف (١٩٩٦م)، **المفصل في تاريخ القدس**، الطبعة الرابعة، القدس: مطبوعات العارف.
- الكيلاني، شمس الدين (٢٠٠٥م)، **رمزية القدس الروحية**، دمشق: اتحاد الكتاب العرب.
- لدادوة، رضا علي (٢٠٠٥م)، **القدس في الشعر الفلسطينية المعاصر (٢٠٠٤ - ١٩٦٧)**، فلسطين: جامعة بيرزيت.
- المتوكل، طه، (٢٠٠٤م)، **حدائق إبراهيم: أوراق إبراهيم طوقان ورسائله ودراسات في شعره**، الطبعة الأولى، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

- مصطفى، خالد راضي خليفه (٢٠١٢)، **توظيف المكان في الشعر الفلسطيني المعاصر**، القاهرة : جامعة القاهرة.
- المقريري، تقي الدين (١٤٢٠ هـ.ق)، **إمتاع الأسماع بما للنبي (ص) من الأحوال والأموال والحفدة المتاع**، تحقيق محمد عبد الحميد النميسي، بيروت: دار الكتب العلمية.
- الملائكة، نازك، (١٩٨٩م)، **قضايا الشعر المعاصر**، الطبعة التاسعة، بيروت: دار العلم للملايين.
- النصير، ياسين (١٩٨٦)، **إشكالية المكان في النص الأدبي**، الطبعة الأولى، بغداد : دار الشؤون الثقافية العامة.
- النيسابوري، مسلم بن حجاج (٢٠٠٦م)، **صحيح مسلم**، تحقيق: نظر بن محمد الفاريابي أبو قتيبة، القاهرة: دار طيبة (pdf).
- **الدوريات**
- بدرانة، كاملة (٢٠١٥م)، **موتيف الشاطر والشاطرة في حكايات الشاطر محمد والشاطر حسن**، فصلية مشارف مقدسية، العدد ٢، صيف ٢٠١٥م، صص ٢٥٨-٢٥١.
- تقوي، محمد والهام دهقان ، **موتيف چيست و چگونه شكل مي گيرد؟**، طهران: مجلة نقد ادبي، جامعة تربيت مدرس، العدد ٨، ١٣٨٨هـ.ش، صص ٣١ - ٧.
- حريرجي، فيروز ومهدي ممتحن ورحيم انصاري بور، **التناقض في شعر محمد مهدي الجواهري**، فصلية دراسات الأدب المعاصر، جيرفت، العدد ١٥، ١٣٩١هـ.ش، صص ١٣٢ - ١١٥.
- الشامي، حسن، **مفاهيم أساسية في دراسة الموروث الشعبي الشفهي**، مجلة الخطاب الثقافي-دراسات، الرياض، العدد الثاني، ٢٠٠٧م، صص ٥٩-٦.
- عزيز، مليحة، **فلسطين في شعر الجواهري (١٩٢٠ - ١٩٧٠)**، مجلة مركز دراسات الكوفة، الكوفة، جامعة الكوفة، العدد ١٤، ٢٠٠٩م، صص ٢١٨-٢٠١.
- معروف، يحيى ومحمد اعتمادي، **محمد مهدي الجواهري وأغراضه الشعرية**، مجلة كلية الأدب والعلوم الإنسانية بجامعة كرمان، العدد ٢٥، عام ١٣٨٨هـ.ش، صص ٢٧١-٢٤٩.

فصلنامه لسان مبین (پژوهش ادب عربی)

(علمی - پژوهشی)

سال نهم، دوره جدید، شماره سی و یکم، بهار ۱۳۹۷

موتیف قدس ودلالاتهای آن در شعر جواهری*

صادق فتحی دهکردی، دانشیار دانشگاه تهران، پردیس فارابی

ناصر قاسمی، استادیار دانشگاه تهران، پردیس فارابی

یدالله ملایری، استادیار دانشگاه تهران، پردیس فارابی

عبد الرسول الهایی، دانشجوی دکتری دانشگاه تهران، پردیس فارابی

چکیده

قدس شریف از جایگاه ویژه ای در شعر جواهری برخوردار است. این واژه و نامهای دیگر این شهر مانند «اورشلیم»، «بیت المقدس» و «میعادگاه پیامبران» چندین بار در دیوان اشعارش تکرار و به موتیف تبدیل شده است؛ هر چند که حوادث و تحولاتی که شاعر با پرداختن به آنها، قدس شریف را یادآوری کرده متفاوت می باشند. موتیف عبارت است از یک واژه یا جمله یا ایده و موضوعی تکراری در موضوعات ادبی با هدف بهبود اندیشه متن است که این تکرار، آن را غنا، معنی و دلالت می بخشد. تکرار در موتیف از جمله پدیده هایی است که با بررسی تاثیر آن بر روح و روان خواننده، برای فهم بهتر متون ادبی به کار می رود. و این گونه است که اماکن واقعی با ابعاد تاریخی و دینی خود به نشانه و مرجعی در قصیده های فلسطینی جواهری تبدیل شده که سرشار از دلالت های نمادین مرتبط با حضور و وجود فلسطینی در این سرزمین اسلامی می باشند. لذا قدس به نمادی برای انسان غارت شده و فاجعه دیده درآمد که ملت های عربی و اسلامی را به راه صحیح رهنمون ساخته و آنها را به گرفتن انتقام فلسطین و بیرون راندن اشغالگران تشویق می کند. از جمله نتایج به دست آمده از این پژوهش این است که جواهری قدس شریف را با هدف معطوف کردن نگاه ها به درد و رنج های فلسطینیان تحت اشغالگری صهیونیست ها در آرایه های ادبی زیادی به کار برده تا بدینوسیله ملت های عربی و اسلامی را به مبارزه با دشمن صهیونیستی تحریک کند. او برای تحقق این هدف انواع مختلف مباحث علم بیان از جمله تشبیه، استعاره، مجاز و کنایه و همچنین نمادهای اسلامی و عربی و روش های مختلف تعبیر و انشاء را به کار گرفت. و با تکرار موتیف قدس، شاهکارهای هنری ارزشمندی را ترسیم کرده که تجربه زیستن در حوادث تاریخی شهر مقدس را به خوانندگان اشعارش هدیه می کنند. این مقاله با روش وصفی تحلیلی به دنبال بررسی فراخوانی شهر قدس شریف و دلالتها و مضامین آن در شعر جواهری از جمله تشویق به مبارزه و مقاومت و تبیین علت شکست کشورهای عربی در جنگ با دشمن صهیونیستی می باشد.

کلمات کلیدی: قدس، موتیف، جواهری، نماد، مکان